

أثر معركتي القرن والأصنام في المحافظة على المذهب السنوي

إعداد

د. فاطمة عبد القادر رضوان

أستاذ مساعد بقسم التاريخ والحضارة الإسلامية
بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة أم القرى

أثر معركتي القرن والأصنام في المحافظة على المذهب السنّي

ملخص البحث:

يتحدث البحث عن مذهب الخوارج ومبدأ قيامه ثم انتشاره في مناطق كثيرة من العالم الإسلامي ، وفي منطقة الشمال الإفريقي وجد الخوارج بغيتهم إذ كانت تلك الأرض خصبة لقبول الفكر الخارجي وقد ساعدت الطبيعة الجغرافية والتنوع السكاني في سرعة انتشار المبادئ الخارجية .

واستمر الصراع بين أهل السنة والخوارج زمناً طويلاً ، استترف خزينة الدولة الأموية التي كانت تحرص على وحدة الشمال الأفريقي من أدناه إلى أقصاه .

خاضت قوات أهل السنة العديد من المعارك ضد الخوارج في محاولة للقضاء التام عليهم لكن ذلك للأسف لم يتم بل هزمت قوات أهل السنة في معركة (الأشراف ١١٢٢هـ وبقدوره ١١٢٣هـ) مما أدى إلى استفحال الخطر الخارجي وكادت عاصمة الخلافة (القيروان) أن تنسلخ من تبعية أهل السنة ثم كان لتعيين الوالي حنظلة بن صفوان من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك منعطفاً جديداً في تاريخ الصراع المذهبي حيث استطاع بفضل تخطيطه أن يحافظ على القيروان عاصمة الدولة الأولى في المنطقة بعد معركتي القرن والأصنام ١٢٢٤هـ .

The impact of Al Qarn & Al Asnam battles in keeping the Sunnah doctrine

Dr./ Fatima Abdulqadir Ridwan

Abstract:

The search speaks about Kharijites doctrine and the principle of its emerging and spreading in large areas of the Islamic world. In the North African area, Kharijites found their wish as these areas are deemed fertile lands for the embracing of such foreign ideology. Further, the geographical nature and demographic diversity helped the spread of foreign principles faster than any other areas.

The conflict between Sunnis and Kharijites lasted for long time and severely exhausted the treasury of the Ymayyad State which was seriously interested in the unity of North Africa from the near borders to the far ones.

In an attempt to totally eliminate Kharijites, Sunnis' forces involved in a number of battles against Kharijites, yet this target was not fulfilled and even Sunnis' forces were defeated at (Al Ashraf (١٢٢هـ) and Bugdoorah (١٢٣هـ) battle, the situation which led to exacerbating the foreign threat and the caliphate capital of (Kairouane) was about to disengage from the domination of the Sunnis. The appointment of Governor Handhalah Bin Safwan by Caliph Husham Bin Abdulmalik was deemed to be a new turning point in the history of the doctrine struggle as he, thanks to his plans, managed to safeguard Kairouane, the capital of the First State in the area, after Al Qarn & Al Asnam battles (١٢٤H.)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

يعتبر الصراع المذهبي في الشمال الأفريقي مرحلة حافلة بالأحداث والمتغيرات ، فالخوارج وجدوا ضالتهم في المنطقة لبعدها عن مركز الخلافة من ناحية وسهولة التأثير على سكانها الأصليين (البربر) من ناحية أخرى .

كون الخوارج قواعد في المغرب الأقصى والأوسط وتحولت تلك القواعد إلى ثكنات عسكرية تنازع قوة الدولة وتزحف على ممتلكات الخلافة الأموية وتحتاج الذرائع الواهية والمختلفة لتعلن الثورة والعصيان فكان أول لقاء عسكري بين الخوارج وأهل السنة في معركة الأشراف التي هزمت فيها القوى السنوية وأظهرت حقيقة التجهيزات عند الخوارج كما أوضحت الأهداف التي يرمون إليها ، ثم كانت المعركة الثانية بقدوره والتي أدت إلى استفحال الخطر الخارجي بعد هزيمة جيش الخلافة وأحکم الخوارج قبضتهم على المغاربة الأوسط والأقصى .

ولقد كان الخوارج من الصفرية أشد عنفاً وقسوة من أخوانهم الإباضية والمناطق التي استطاعوا السيطرة عليها في المغرب الأوسط والأقصى تشهد على العنف والقسوة في حين كان الإباضية قد تمركزوا في طرابلس ويزدرون فحسن الصفرية وهمجيتهم .

كان تعين حنظلة بن صفوان الكلبي وإلى على الشمال الأفريقي بداية مرحلة لاستقرار المذهب السنوي وقد كان لمعركتي (القرن والأصنام) التي هزم فيها الخوارج أثر كبير في وقف التوسع الخارجي وحافظ على القيروان من التسلط عليها لكن على الرغم من ذلك سيؤسس الخوارج دويلات لهم في المنطقة حيث استطاع الصفرية تأسيس دولة في سجلماسة في الجنوب الغربي سنة ١٤٠هـ في حين أسس الإباضية دولة في تاهرت في المغرب الأوسط سنة ١٦٠هـ وظلت القيروان مركزاً لأهل السنة في الشمال الأفريقي .

يتناول هذا البحث مرحلة من مراحل الصراع بين مذهب أهل السنة والجماعة ومذهب الخوارج في منطقة الشمال الأفريقي ، ولعل من الجدير ذكره أن الخوارج ظهرت كفرقة مخالفة لأهل السنة في عهد الإمام علي عليه السلام وتحديداً في يوم صفين حين كان القتال شديداً بين قوات الإمام علي كرم الله وجهه وهو يمثل خليفة المسلمين وبين قوات معاوية بن أبي سفيان والي الخليفة في بلاد الشام والمطالب بدم الخليفة عثمان رض وكاد القتال أن يكون لصالح الإمام علي عليه السلام إلا أن معاوية بن أبي سفيان اقترح فكرة التحكيم [ورفع المصاحف لتحكيم كتاب الله] ليخرج من مأزق الهزيمة فرفض الإمام علي عليه السلام هذا الأمر فخررت عليه طائفة من جيشه تطالبه بقبول التحكيم فاضطر لقبوله مع عدم قناعته به خوفاً من انقسام الصف ورغبة في وحدة الكلمة ، وانتهى التحكيم إلى نتيجة سلبية أحرجت مركز الخليفة بل أكثر من هذا أن هذه الطائفة نفسها رغم أنها أدركت خطأ قبول فكرة التحكيم إلا أنها اتخذت طريقاً ظاهراً حق وباطنه باطل فرفعت شعار " لا حكم إلا لله " لا لبني هاشم آل رسول الله صلوات الله عليه وسلم ولا لبني أمية من قريش ، وطالبو الإمام علي عليه السلام بالتنورة فإن تاب بایعوه وإنما مخالف ، فرفض الإمام علي كرم الله وجهه الانصياع لتفكيرهم فأعلنوا عصا الطاعة وتخربوا وعينوا عليهم رجلاً منهم اسمه عبد الله بن وهب الراسي وتركوا الخليفة وساروا إلى حروراء وكفروا كل من يخالفهم فلم يجد الإمام علي عليه السلام إلا قتالهم سنة ٣٧هـ^(١) لاستباحتهم دماء وأعراض وأموال مخالفيهم واعتبروا الإمام علي عليه السلام مخالف كافر وقد تمكّن الإمام علي عليه السلام من قتل الراسي إلا أن خطورهم لم يتنتهي^(٢) بل إن الخليفة الراشدي الرابع عليه السلام استشهد على يد أحدهم وهو عبد الرحمن بن ملجم .

كانت نهاية العصر الراشدي وقيام الدولة الأموية مرحلة خطيرة في حياة الأمة المسلمة إذ ساهم هذا التحول في ازدياد نشاط الخوارج ، وشدة بأسهم وتوحيد أهدافهم لمناهضة السلطة الحاكمة ففيه تحول منصب الخليفة إلى وراثة في أبناء البيت الأموي وقد أدى هذا بالخوارج إلى كثرة أتباعهم لأن من أهم مبادئهم

عدم حصر الخلافة في حي معين بل هي حق لأي مسلم تتتوفر فيه الشروط الواجبة في الإمام^(٣).

وأكثر أتباعهم من عرب البادية وقلة منهم من عرب القرى وهم أجلاف غلاظ ، والعجيب أننا لا نرى الكثير من الموالي في طائفة الخوارج مع أن منصب الخلافة في مبادئ الخوارج متاح لأن ينالوه لكن يبدو أن الخوارج يعتبرون الموالي درجة أقل ويعاملونهم بشيء من الازدراء^(٤).

أول ثورة قامت ضد الخليفة معاوية^(٥) ثورة عبد الله بن أبي الحوساء بالقرب من الكوفة عند منطقة تسمى بالخيلة^(٦) بعث إليه معاوية^(٧) قوة بقيادة خالد بن عرفة فهزمت جموع الخوارج وقتل ابن أبي الحوساء سنة ١٤٤هـ^(٨) ولقد زادت الهزيمة الخوارج شراسة ففي نفس العام خرج على الخلافة قوة خارجية أخرى بقيادة حوثره بن ذراع الأسدى وتم القضاء عليها ، ثم تخرج قوة خارجية ثالثة بقيادة فروه بن نوفل الأشجعي في خمسينات من الخوارج هزمت جيش الخلافة من أهل الشام مما جعل الخليفة معاوية^(٩) يشدد على أهل الكوفة ليصدوا الخوارج فكتب إليهم قائلاً : " لا أمان لكم والله عندي حتى تكفوا بوائقكم فخرج أهل الكوفة إلى الخوارج فقاتلوهم "^(١٠).

وفي ولاية المغيرة بن شعبة على الكوفة (٤٢-٤٥هـ) ساد الهدوء والسلام لاستعماله اللين مع الرهبة فظن الخوارج أن ذلك ضعفاً وليس حكمة وكياسة فخرجوا بشورة عارمة سنة ٤٣هـ بزعامة المستورد الطائي ، فاستنفر المغيرة أهل الكوفة وكبار رجالها ، وقام معه كل من عدي بن حاتم ومعقل بن يسار للقضاء على هذا التمرد الخارجي وعلى الرغم من أن أهل الكوفة لم يكونوا موالين للخلافة الأموية إلا أن ثورات الخوارج كانت تكبدهم الكثير من الخسائر في الأموال والأنفس ، وخرج معقل على رأس الجيش لقتالهم فانتهت المعركة باستشهاده ومقتل المستورد^(١١).

وفي سنة ٤٥ هـ عَيْنُ الْخَلِيفَةِ معاوِيَةَ زِيَادُ بْنُ أَبِي سَفِيَانَ وَالْيَا عَلَى الْبَصْرَةِ وهو المعروف بالقوة والشدة والباس فضرب الواليان (والى الكوفة المغيرة بن شعبة ، ووالى البصرة زياد عبد الله) بقوة على الخوارج ، ولما توفي المغيرة بن شعبة سنة ٥١ هـ أُسندت إلى زياد بن أبي سفيان الكوفة ليصبح والي على الولaitين ، واشتد في محاربة الخوارج فلم تقم لهم قائمة حتى وفاته ، وقد تولى مكانه ابنه عبد الله بن زياد فعاد الخوارج إلى الثورة وظلت ثورة أحدthem ويدعى مردارس بن ادبه ثلاث سنوات من سنة ٥٨ إلى سنة ٦١^(٩) .

ويذكر المؤرخون^(١٠) أن في هذا التاريخ تفرق الخوارج في الأماصار ويعلل بعضهم هذا الأمر إلى الشدة التي لاقوها من قبل الخليفة الأموية ، لكن أرى أن هذا الرأي يجانبه الصواب لأن الخوارج لهم هدف عظيم وهو الوصول إلى السلطة والحكم ؛ فهم قطعاً سيبحثون عن أرض مناسبة آمنة يمكنهم فيها من بث أفكارهم وتجميع أنصارهم والوصول إلى مرادهم ، وأيضاً لو كان العنف والشدة هما سبب الخروج والعصيان لكان أحدر أن يستكروا في زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز^(١١) الذي بذل قصارى جهده ليكسبهم وناظر رجلين من أصحاب بسطام اليشكري الذي خرج بثورته في سنة ١٠٠ هـ من خلافة سيدنا عمر بن عبد العزيز وأقام^(١٢) عليهما الحجة في كل القضايا التي طرحوها عدا قضية ولادة العهد ليزيد بن عبد الملك إذ طلب الخليفة فرصة للرد عليها نجد أن المنية سبقته بالرد وحالت وفاته سنة ١٠١ هـ دون حل تلك القضية .

إن الشدة والقوة في مواجهة الخوارج كان لها دورها في إخماد أنفاسهم كما حدث ذلك في ولاية كل من المهلب بن أبي صفرة والحجاج بن يوسف الثقفي وذلك مدة اثنان وعشرون عاماً (٧٨٠-١٠٠ هـ) وإن لم يؤد ذلك للقضاء عليهم نهائياً إلا أن الهدوء والاستقرار عم ولا يطي الكوفة والبصرة ونشط الناس لأعمالهم وأدت الولaitين دورهما في الفتح خارجياً وفي التطوير الحضاري والفكري داخلياً .

ولهذا فإن الهدف المرسوم عند الخوارج هو الوصول إلى مركز الخلافة وهذا لن يكون في ضوء ظروف منطقة العراق وما والاها ولا في المراكز التي أقاموها في كل من الإمامة وحضرموت واليمن^(١)، لذا توجهوا إلى مناطق نائية عن مركز الخلافة يجمعوا فيها الأنصار وتكون نواة إلى الوصول إلى مركز القوة وقد تم لهم ما أرادوا في الشمال الأفريقي .

الخوارج في بلاد المغرب :

المغرب أرض بعيدة نائية عن مركز الخلافة وعاصمتها القิروان التي أسسها القائد عقبة بن نافع الفهري سنة ٥٥٠ هـ أصبحت مركزاً علمياً وثقافياً هاماً ليس فقط في القิروان وما حولها بل في القارة الأفريقية كلها ، وكانت البعثة العلمية^(٢) التي أرسلها الخليفة عمر بن عبد العزيز سنة ٩٩ هـ قد أدت إلى بلوغ الناس مرحلة من النضج والوعي والفقه بمقاصد الشريعة وغاياتها ، وصارت القิروان قبلة لكل طالب علم وكل باعِ لنشر العلم .

لكن ذلك لا يعني أن هذا حال كل ساكني المنطقة أبداً لأن العناصر البشرية المكونة للمجتمع هناك جد متفاوتة في انتمائها ومصالحها وقبولها للإسلام وأهله ، فالببرير وهم السواد الأعظم هم سكان البلاد الأصليين منهم من أسلم وحسن إسلامه وشارك مع المسلمين في الفتوحات ونشر الإسلام ، وطائفة منهم ما تزال على وثنيتها وثالثة لا يعنيها من هذا الدين وعلومه إلا بقدر ما يفي بحاجتها في حين كانت هناك فئة ساذجة لا تعني ما يدور حولها .

أما الأفارقة^(٣) الذين كانوا وراء ما يحافظ على مصالحهم كان إسلامهم رغبة منهم في المحافظة على أراضيهم لهذا لا يستغرب إن وجدناهم يميلون إلى الحركات الانفعالية ويساركون فيها النبلاء من القرن الثاني الهجري والمثل على ذلك عبد الأعلى بن جريج الأفريقي الذي يعرف بأنه رومي الأصل ومن موالي العرب وكان مع ميسرة المدغري في ثورته وهو من الصفرية^(٤) .

ويمثل الروم القوى الحاكمة للبلاد وعلى الرغم من أن عددهم كان كبيراً فإن الكثير منهم انسحب نحو جزر البحر الأبيض المتوسط ، وجماعات منهم لجأت إلى المناطق الداخلية حرصاً على أموالها وخيراتها ودخلت في الإسلام^(١٥) . ولابد من ذكر أن الوضع السياسي في بلاد المغرب قد أخذ في الاستقرار منذ عهد القائد حسان بن النعمان ، وكلته جهود القائد موسى بن نصير وقد بذلا جهوداً جباراً لإقرار الأوضاع الأمنية والسياسية للقيروان خاصة وللشمال الأفريقي عامة حتى أطلت البلاد على عهد جديد هو عهد الولاية وما يتبعها من تنظيمات مكنت للإسلام ودستوره أن يسود وينعم فيه الجميع بالمنهج القوي^(١٦) .

لكن البربر الذين عاشوا تحت حكم الفينيقيين والوندال والرومان والبيزنطيين وعانوا من استبدادهم وقسوتهم أحقاباً متالية صارت لديهم كراهية لأي قادم جديد وردة البربر المتالية بعد حملات الفتح أمراً معتاداً ولم يهدعوا ويتناسوها الردة إلا في عهد موسى بن نصير حين استغل طاقتهم وأشغلهم بفتح الأندلس كما يذكر ذلك **السلاوي الناصري**^(١٧) ، لكن ذلك لا يعني أن المسلمين بعد عهد موسى بن نصير لم يجدوا من البربر المسلمين تذمر ومعارضة فهذا حقيقة مرهون بالعديد من المسائل فسياسة الوالي وحسن رعايته لهم والعدل فيما وتنظيم أحوال معيشتهم والاهتمام بتعليمهم وتنقيفهم ، ومرهون كذلك بالبربر أنفسهم وتطلعاتهم وتأثيرهم بعوامل ومتغيرات جمة .

عصر الولاية في منطقة الشمال الأفريقي كان يمكن أن يكون انطلاقة للبناء والتعمير ونشر الإسلام في المناطق النائية والاهتمام بالعلوم المختلفة^(١٨) لولا دخول المذهب الخارجي بفرعيه (الأباضي والصفرى) نهاية القرن الأول ، وما أحدثه هذا من اقسام واضطراب ثم ثورات زعزعت الأمن واستنزفت خزينة الدولة الإسلامية ، من الأموال وراح ضحيتها رجال من خيرة أهل العلم والصلاح .

لعل من الجدير ذكره أن الخوارج بكل طوائفهم لم يكونوا جماعات منظمة وقد استفادت بعض فرقهم من تجارب الثورات المتكررة فعمدوا إلى أسلوب مغاير

يعتمد على الدعوة السرية ونشر الدعاة في أطراف العالم الإسلامي ، وقد أحسن الخوارج في اختيارهم لأرض المغرب كمكان آمن بعيد عن نظر مركز الخلافة في دمشق^(١٩) ، فريق من الخوارج لجأ إلى هناك فرقة الصفرية وهي نسبة إلى زياد بن الأصفه وهم من المغالين وإن كانوا قد تخلوا عن بعض مبادئهم بعد الفشل الذريع إلا أننا سترى ضراوتهم وشدة لهم في بلاد المغرب . أما الطائفة الأخرى من الخوارج فهم الإباضية أتباع عبد الله بن أبياض وهم أكثر الخوارج اعتدالاً^(٢٠) .

دخل المغرب سنة ٩٨ هـ وبالتحديد إلى القيروان داعيتين من دعاة الخوارج هما عكرمة مولى ابن عباس وسلمة بن سعد ، أما عكرمة فهو مغربي الأصل من موالي الصحابي الجليل عبد الله بن عباس صاحب العلم والفقه وقد استفاد عكرمة من هذه الصلة فقد استمع إلى كبار الصحابة كأبي هريرة والسيدة عائشة رضي الله عنهم أجمعين وصار من الأعلام الأجلاء في الفقه والحديث أما دخوله في المذهب الصفري فيرجح أنه تم متاخرًا لكن يبدو أنه صار فيه من كبار أعلامه ودعاته حتى انتدب لينشر المذهب الصفري في المغرب^(٢١) .

أما سلمة بن سعد صاحب الدعوة الإباضية فلا تسعننا المصادر التي بين أيدينا عن أصل موطنها لكن قدم من البصرة بصحبة عكرمة .

لقد انتهج الإباضية والصفرية في القيروان نهج الدعوة السرية ، وكانت حلقات العلم تدرس في مسجد القيروان تحمل في طياتها الأحاديث العامة التي تدور حول المسائل المشتركة مع أهل السنة والجماعة وأحاديث عن الجنة والنار والشواب والعقارب وإصلاح النفس غير أن هذا كان بداية لتكوين الأتباع والأنصار^(٢٢) .

لم يكن هناك توافق بين طائفتي الخوارج وإن بدا للناظر عكس ذلك إذ بعد تكوين الأتباع اتجهت كل طائفة إلى ناحية من بلاد المغرب فاتجه الإباضية إلى الأقاليم الشرقية من الشمال الإفريقي بينما اتجهت الصفرية إلى نواحي المغرب

الأقصى^(٢٣) . وقد تصل العلاقة بين الطرفين إلى حد العداء والصراع المسلح كما سُنِّي ذلك .

يشير الدكتور / محمد عيسى الحريري^(٢٤) إلى أن دعوة الخوارج نجحوا على نطاق واسع لأن دعوتهم كانت تحمل للبربر مبدأً عظيمًا هو المساواة المطلقة التي تعطى لهم الأمل أن يكونوا حكامًا لا محكومين ، وأن الخلافة يجب أن تكون باختيار حر من جميع المسلمين قرشيين أو غيرهم حتى العبيد ، وأن ل الخليفة يعزل إذا حاد عن الشريعة^(٢٥) .

التأيد القبلي للمذهب الخارجي :

لقد أدرك الخوارج طبيعة البربر وتقسيماتهم القبلية مما سهل لهم الانتشار بشكل سريع والوضعية القبلية السائدة في بلاد المغرب ساهمت بشكل كبير في حركة الخوارج وتأييدها ونصرتها فمثلاً رئيس قبيلة مطفرة (مدغره) يسمى ميسرة المدغري ، قدم القิروان ودرس على يد الداعية الصفري القادم من المشرق عكرمة مولى ابن عباس ، وقد أخذ العلم عنه في الخفاء حتى أن ميسرة هذا كان يعمل سقاءً في سوق القิروان مع كونه سيد قومه إمعاناً في الحذر والتستر فلما بلغ درجة من العلم في المذهب الصفري عاد إلى المغرب الأقصى حيث موطن قبيلته ونشر المذهب فيها^(٢٦) .

وكذلك أبو القاسم سموك بن واسول شيخ قبيلة مكناسة الذي تلقى العلم على يد عكرمة بالقิروان وكان شديد الذكاء ذو همة عالية فأصبح من " مشاهير حملة العلم " ^(٢٧) .

واعتنق برب برغواطه المذهب الصفري على يد طريف بن شمعون الذي لقي عكرمة بالقิروان وكان لبربر برغواطه دور بارز في ثورة ميسرة المدغري^(٢٨) .

ولعل من الجدير ذكره أن اعتناق القبائل للمذهب الخارجي قوى الحركة الخارجية ووسع انتشارها وم肯 لزرع قواعد في العديد من المناطق مما أسهم في سريان الثورة ونجاحها .

أما فرقة الإباضية من الخوارج فقد اتخذت لها مكاناً في إقليم طرابلس وجعل نفوسه على يد سلمة بن سعد الذي ما لبث أن وفاه الأجل فحل محله أبو عبد الله محمد بن عبد الحميد بن مغيطر الذي كان تلميذ أبو عبيدة مسلم بن أبي عكرمة قطب الدعوة الإباضية في البصرة ، وقد جعل أبو عبد الله من جبل نفوسه (دار هجره) للمذهب الإباضي أي هو المركز الذي انطلقت منه الدعوة الإباضية إلى قبائل هواره ولمايا وزناته وزواجه ، كما انتشرت دعوة الإباضية في المغرب الأوسط وخرج طلبة من المغاربين الأوسط والأدنى لتلقي العلم على يد علماء المذهب في المشرق الإسلامي فعادوا وهم " حملة علم " أدوا دوراً بارزاً في تثبيت المذهب وبهذه مرحلة جديدة تهدف إلى التمكين وإقامة كيانات سياسية^(٢٩) .

أسباب ثورات البربر :

شهدت بلاد الشمال الإفريقي منذ سنة ١٢٢ هـ ثورات خارجية شارك فيها البربر الخوارج الذين اعتنقوا المذهب الخارجي قبل مدة وجيزة وأعلنوا التمرد والخروج على السلطة الحاكمة متدرعين بالعديد من الأسباب :

١- ظلم الولاة لهم وتمثل ذلك في سياسة الوالي يزيد بن أبي مسلم (١٠٢ هـ) الذي كان كما يقول ابن عذاري^(٣٠) : " ظلوماً غشوماً " فقد ازدرى جنده فأمر بأن يرسم على إحدى يدي الجندي اسمه وعلى الأخرى حرس يزيد بن أبي مسلم فغضب البربر وقالوا جعلنا بمنزلة النصارى إذ كانت الروم تفعل هذا بحرسها فاتفقوا على قتلها وتم ذلك فعلاً .

٢- اعتبار السلطة الحاكمة البربر ذميين رغم إسلامهم فيدفعون الجزية والأفطع من ذلك تؤخذ نساءهم سبايا وأوضحت صورة لهذا الظلم ما حدث في ولاية

عبيد الله بن الحجاج (١٢٢-١١٦ هـ) فقد كان عامله عمر بن عبد الله المرادي " قد أساء السيرة وتعدى في الصدقات والعشر وأراد تخميس البربر و Zumum أنهم فيء للMuslimين ، وذلك ما لم يرتكبه عامل قبله ، وإنما كان الولاة يخمسون من لم يجحب للإسلام " ^(٣١) .

٣- انعدام مبدأ المساواة المطلقة بين جماعة المسلمين (العرب الفاتحين والبربر المسلمين الجدد) وأبرز مظاهره تبدو في حصر منصب السلطة في طائفه العرب دون البربر والبلاد بلادهم والسود الأعظم من الرعية منهم ^(٣٢) .

وأشير هنا إلى أن المظالم التي ذكرها البربر الخوارج هي أذى وقع عليهم بلا شك لكن حقيقة هي لم تكن مظهراً عاماً منذ الفتح ولكن هي حالات فردية من بعض الولاة وليس سمة عامة لكل مراحل الحكم الإسلامي لبلاد المغرب ، بل إن سياسة يزيد بن أبي مسلم لم تكن محل رضى الخاصة وال العامة وليس أدلة على ذلك أن ردة الفعل التي حدثت من البربر المسلمين وهي قتل الوالي لم يعارضها الخليفة يزيد بن عبد الملك (١٠١ ، ١٠٥ هـ) ناهيك أنه لم يطالب بمعاقبة الفاعلين وهذا دليل على عدم رضاه بما أحدهه واليه ، وكتبا إليه : " إننا لم نخلع أيدينا من طاعة ، ولكن يزيد بن أبي مسلم ، سامنا ما لا يرضاه الله والمسلمون ، فقتلناه ، وأعدنا عاملك " فيرد عليهم الخليفة يزيد بن عبد الملك : " إنني لم أرضَ ما صنع يزيد بن أبي مسلم " ^(٣٣) .

ومما تجدر ملاحظته أن الفاعلين لم يكونوا خوارج أنهم برب مسلمين عرفوا أن الفاتحين المسلمين أمة لم تأتِ لاستعبادهم ونهب خيراتهم إنما جاءت لرفع شأنهم ونشر الحق بينهم ، ولعل الذي قام بهذا الفعل هم حرس الوالي الذين وقع عليهم الظلم من الوالي فقتلواه وكان ذلك ومما يلفت نظرنا هنا أن الذين قتلوا الوالي لم يفكروا فيأخذ السلطة وحكم الولاية ولهذا هي ثورة ضد الظلم فقط ، ولقد ترك منصب الولاية شاغراً حتى تصالح الناس على تعيين أمير البحر محمد بن أوس الأنصاري ^(٣٤) فهي ليست ثورة خوارج إذ الخوارج في ثوراتهم كما سنرى

يكون محط نظرهم وأعظم مقاصدهم نيل السلطة .

أما السبب الثاني الذي ذُكر في أسباب الثورة وهي عدم رفع الجزية على من أسلم من البربر وقصة السبايا وكذلك جلود الخرفان العسلية أو (البيضاء) التي يبعثها الوالي إلى الخليفة هشام بن عبد الملك فإنه على الرغم من تكرار الرواية في كتب المؤرخين إلا أن السياسة المالية التي انتهجهما الخليفة هشام بن عبد الملك تدحض هذه الفريدة إذ كان يحرص على المال الحلال الذي يدخل بيت مال المسلمين حتى أنه كان يشهد عليه أربعين رجلاً ذكر الذهبي ^(٣٥) : "كان لا يدخل بيت المال لهشام شيء حتى يشهد أربعون قساماً ، لقد أخذ من حقه ولقد أعطى الناس حقوقهم" .

كما لا بد من الإشارة إلى أن عمليات غزو المناطق النائية التي لم تصلها الجيوش من قبل وكذلك الغزو في البحر قد ظل طيلة عهد الولاية وقد يكون فرض الجزية على من بقي على دينه في تلك النواحي ولم يدخل في الإسلام ^(٣٦) . ذكر ابن أبي دinar قوله ^(٣٧) : "وكانت بها (يقصد بلاد المغرب) قرى عامرة بالكفر إلى ما بعد المائة الرابعة" .

أما الذريعة التالية التي اتخذها الخوارج سبباً للخروج وإعلان العصيان والثورة فهي قضية الحكم والسلطة والتي كانت سبباً في تحويل نشاط الخوارج من المشرق الإسلامي إلى المغرب الإسلامي .

لا جدال أن البربر دخلوا في الإسلام طوعية وساهموا مع أخوانهم في نشر الرسالة المحمدية ولا تنكر جهودهم في فتح الأندلس ، وقد كان المسلمون الفاتحون على درجة كبيرة من السمو في التعامل مع البربر حتى أنهم لم يشعروا بالقهر والغلبة أبداً ^(٣٨) .

لكن في قضية السلطة والحكم فلا بد من القول أن التجربة ليست من السهولة على طائفة البربر الذين لم تكن لهم سابقة فيها بل كانوا دوماً هم

المحكومين ولهذا أتصور أن إعطاء منصب الولاية للبربر قد يكون محفوفاً بالكثير من المخاطر لأن خلف المنصب تكاليف وحقوق لابد أن تؤدي إضافة أن من يعتلي هذا المنصب لابد وأن يكون على درجة من العلم بالشريعة في كل ما يخص قضايا الحكم وهذا لم يكن ممكناً في بداية الفتح لأنه لابد من تعلم العربية ليسهل تعلم الشريعة من مصدرها القرآن الكريم والسنة الشريفة .

تلك هي الدلائل التي اتخذها الخوارج لإعلان الثورة على السلطة الحاكمة، الواقع إن كان شيئاً من الظلم قد وقع على البربر المسلمين فإن هناك طائفة ضغخت هذا الظلم لدى البربر وأعطت لهم أساليب لتقويض نظام الحكم وهذا ما فعله الخوارج من الإباضية والصفوية "أن الظلم وحده لا يكفي لقيام ثورة ما لم تتوفر فئة تحسم المظالم وتضخمها في أعين الناس وترسم لهم طريق تقويض الحكم القائم وقد توفر ذلك في المغرب على يد الخوارج من الصفرية والإباضية ^(٣٩)" .

فتيل الثورة :

يميل الكثير إلى إعطاء العذر للخوارج لإعلان ثورتهم ضد السلطة الحاكمة بعد إرسالهم وفداً من أهل المغرب لمقابلة الخليفة هشام بن عبد الملك لعرض شكوكهم من عماله ذكر الطبراني قوله ^(٤٠) : " فما زال أهل المغرب من أسمح أهل البلدان وأطوعهم إلى زمان هشام بن عبد الملك ، فلما دب إليهم أهل العراق (أي الخوارج) واستشاروهم قالوا : إننا لا نخالف الأئمة بما تجني العمال ولا نحمل ذلك عليهم فقالوا : إنما يعمل هؤلاء بأمر أولئك ، فقالوا لهم : لا نقبل ذلك حتى نخبرهم ، فخرج ميسرة المدغري في بضعة عشر إنساناً حتى قدم على هشام ، فطلبوه إذن ، فصعب عليهم ، فأتوا الأبرش ^(٤١) فقالوا : أبلغ أمير المؤمنين أن أميرنا يغزو بنا ويتجنده ، فإذا أصاب نفلاً دوننا ، وقال لهم أحق به ، فقلنا : هو أخلص لجهادنا ، وإذا حاصرنا مدينة قال : تقدموا ، وأخر جنده ، فقلنا : تقدموا ، فإنه ازدياد في الجهاد ، ومثلكم كفى إخوانه ، فوقيناهم بأنفسنا وكفيناهم ، ثم أنهم

عمدوا إلى ماشيتنا ، فجعلوا يقرنونها عن السخال ، يطلبون الفراء الأبيض لأمير المؤمنين فيقتلون ألف شاة في جلد ، فقلنا ما أيسر هذا لأمير المؤمنين ، فاحتملنا ذلك ، وخليناهم بذلك ، ثم أنهم سامونا أن يأخذوا كل جميلة من بناتنا ، فقلنا : لم نجد هذا في كتاب ولا سنة ونحن مسلمون ، فأحببنا أن نعلم ، أعن رأي أمير المؤمنين ذلك أم لا ؟ . قال الأبرش : نفعل ، فلما طال عليهم ، ونفذت نفقاتهم كتبوا أسماءهم في رقاع ورفعوها إلى الوزراء ، وقالوا : هذه أسماؤنا ، وأنسابنا فإن سألكم أمير المؤمنين عنا فأخبروه " ، ثم عادوا وأعلنوا الثورة .

إن هذه الرسالة وإن ذكرها الطبرى ونقلها عنه آخرون فهذا لا يعني القطع بصحتها لأن الإمام الطبرى في مقدمة كتابه ذكر أنه كتب كل ما سمع^(٤٢) فهي ليست محققة لذا لا يعول عليها فيأخذ العذر لإعلان ثورة حصدت أرواح ألف من البشر ، كما أن الخروج على الإمام ليس بهذه البساطة إن الذي يلزم الآخرين بالعدل والمساواة انطلاقاً من مبدأ تشريعى لابد أن يلزم نفسه بفهم حكم الخروج على الإمام^(٤٣) .

وتحمة نقطة أخرى جديرة باللحظة في نص الطبرى وهي قوله : " فما زال أهل المغرب من أسمح أهل البلدان وأطوعهم إلى زمان هشام بن عبد الملك فلما دب إليهم أهل العراق (أي الخوارج) استشاروهم " إذن الفكر الخارجي هو الباعث الحقيقي للثورة قبل كل شيء وتاريخ الخوارج في المشرق الإسلامي حافل بالثورة والعصيان .

لم تكن ثورات الخوارج في المغرب الإسلامي دفعاً لظلم وقع وإنما استهدفت إقامة دولة خارجية استعصت عليهم في المشرق .

ثم كيف يمكن تصديق إحجام الخليفة هشام بن عبد الملك عن مقابلتهم لقد عرف عن الخليفة حزمه وعقله وكياسته ، فهل يغيب عنه ما يمكن أن يترتب على عدم مقابلة هذا الوفد لاسيما وأنه كان على علم بأحوال الخوارج في بلاد المغرب وشدة بأسهم فلا يمكن أن يهمش الأمر ولو هذه الأبعاد الخطيرة وهو الرجل

الحربيص على معرفة أحوال الولايات ويطلع على الدواوين بدقة فائقة "لم يكن أحد من بنى مروان أشد نظراً في أصحابه ودواؤينه ولا أشد مبالغة في الفحص عنهم من هشام" ^(٤٤).

لا ننكر أن وفد المغرب قد ذهب إلى المشرق ووصل إلى دمشق لكن لا يقابل الخليفة ولكن ليلتقي مع خوارج المشرق ويتدارس الخطط معهم ومن ثم يحظى بتأييدهم وعونهم . " وكانوا قد تدارسوا في دمشق المنهاج الذي يسير عليه خوارج المشرق " ^(٤٥) .

ثورة ميسرة المدغري (غزوه الأشراف - رمضان ١٢٢ هـ) :

بايعت الصفرية إماماً عليهم ميسرة المدغري الذي بادر بإعلان الثورة على السلطة الحاكمة بعد عودته مع الوفد من المشرق وانضمت إليه كل من مكتنasse وبرغواطه والأفارقة بزعامة عبد الأعلى بن حديج كما انضمت إليه من المغرب الأوسط زناته ^(٤٦) في منطقة الريف وبالتحديد في طنجة حيث اقتحموا المدينة وقتلوا عاملها عمر بن عبد الله المرادي وطردوا إسماعيل بن عبيد الله وقتلوا الصبيان وسبوا النساء وفعلوا من الأمور البشعة الكثير وأحکم ميسرة سلطنته على طنجة ثم راح يوسع نطاق الثورة ليصل إلى مركز الخلافة في المغرب أي (القيروان) ويقضي على نفوذ السنة ومن يمثلها ^(٤٧) .

بلغ نبأ سقوط طنجة للوالى عبيد الله بن الجحاب الذي كان جيشه يغزو صقلية فتحرك في اتجاهين الأول أرسل إلى عامله على الأندلس يأمره بمواجهة الصفرية على تخوم طنجة وما والاها ، وقد سارع عقبة بن الحجاج السلوكي على رأس قواته إلى هناك وقاتل البربر بشدة لكن الثورة حقيقة كانت أعظم من أن يقضي عليها عقبة فعاد إلى الأندلس ليجد بربتها قد ثاروا تأسياً بأهل طنجة - وثانياً - جهز قوة من كان عنده من الجناد ومن أشراف ووجوه العرب يترأسهم خالد بن أبي حبيب وكان اللقاء الحاسم بين قوات السنة ومن الخوارج بقيادة ميسرة عند وادي شلف وتقاتل الطرفان قتالاً شديداً ولا يعرف سبب انسحاب ميسرة المدغري

من المعركة ودخوله إلى طنجة حيث عزلته الصفرية ثم قتلوه لتخاذله في قتال جيش السلطة السنّي ، وعين الخوارج عليهم خالد بن حميد الزناتي الذي داهم قوات خالد بن أبي حبيب بشراسة وهو يقاتل بعض فلول جيش ميسرة ، وكانت قوات خالد بن حميد الزناتي من القوة والكثرة ما أذهل خالد بن أبي حبيب الذي رأى من الضرورة التصدي لقوات الخوارج مع من معه من الجنود الذين استبسلوا في القتال إلى أن نالوا الشهادة مع قائهم في الغزوة التي عرفت باسم غزوة الأشraf^(٤٨) .

تخرج موقف الوالي عبيد الله بن الجحاب الذي خشي من توسيع نفوذ الخوارج فأراد أن يحول بينهم وبين القيروان فأرسل إلى تلمسان عاملًا من قبله هو عبد الرحمن بن المغيرة وطلب إليه مواجهة الخوارج فقاتل عبد الرحمن الصفرية حتى سمي بالجزار لكن ييدو قوى الخوارج ونفوذهم على تلمسان وأرغموا عامل ابن الجحاب على مغادرتها^(٤٩) .

أما الخليفة هشام بن عبد الملك فقد أفرغته أنباء الهزيمة واستشهاد تلك الصفوة من المسلمين فاستدعى الوالي عبيد الله بن الجحاب وتوعده برد قوي ضد الخوارج المتمردين " والله لأغضبن لهم غضبة عربية ، ولأبعثن لهم جيشاً أوله عندهم وآخره عندي " ^(٥٠) .

معركة بقدورة سنة ١٢٣ هـ :

أدرك الخليفة هشام بن عبد الملك خطورة الشورة الخارجية ورماميها البعيدة، وحجم قوتها وكثرة المؤيدين لها ، كما أدرك أنها ثورة عقائدية تدفع ب أصحابها إلى الموت دون مبالاة وسياسية بجنوحها لنيل الحكم والسلطة فلا بد من الإعداد بقوة لمواجهة الخطب المدلهم .

في جمادى الثاني سنة ١٢٣ هـ عين الخليفة كلثوم بن عياض القشيري والي على بلاد المغرب وعين له نائبين هما ابن أخيه بلج بن بشر القشيري وثعلبة بن سلمه العاملي ، وأعد الخليفة له جيشاً عظيماً من أهل الشام تعداده سبعة وعشرون

ألف جندي من النظاميين من دمشق وحمص والأردن وفلسطين وحلب ، ورجلين من أصحاب الدراسة بأرض المغرب هما هارون القرني مولى معاوية بن هشام ومغيث الرومي صاحب موسى بن نصير ويكونا كذلك مستشارين للوالى كلثوم بن عياض^(٥١) .

كما أرسل الخليفة إلى كافة عماله في الولايات التي يمر بها جيش كلثوم أن يقدموا له ما يحتاجه من الرجال والمال^(٥٢) .

سار الجيش من الشام فوصل مصر وانضم إليه من جندها ثلاثة آلاف مقاتل نظامي عدا المتطوعين والموالي وكذلك من برقة وطرابلس^(٥٣) .

لا ريب هذه الأعداد وما معها من سلاح وعتاد كانت كفيلة بدرح الخوارج وتميزت صفوفهم لاسيما وأن هذا الجندي القادر من المشرق في ذروة قوته ونشاطه على عكس البربر الخوارج الذين اشترکوا في قتال جيش الوالي السابق عبيد الله بن الجحاب ، لكن عوامل متعددة ستتحول دون تحقيق النصر والتمكن لأهل السنة لعل أهمها الغرور بكثرة العدد الذي كانوا فيها حيث وصل جيش كلثوم بن عياض إلى سبعين ألف جندي^(٥٤) . ولقد أدب الله تبارك وتعالى جيش الرسول الأعظم ﷺ في غزوة حنين لما قالوا : " لن نغلب اليوم من قلة " فكان الجزاء من الله تعالى هزيمة للمسلمين في بداية المعركة أرجعت إلى الناس عقلها وأدركت أن النصر من عند الله لا بالعدد والعدة ، وثاني عامل هو الفرقة والانشقاق بين فئتي الجيش (الشاميين والبلدين) فيذكر المؤرخون أن جيش كلثوم دخلوا أفريقية مغرورين متكبرين كما طلب بلج بن بشر من أهلها قائلاً : " لا تغلقوا أبوابكم حتى يعرف أهل الشام منازلهم "^(٥٥) كناية عن إباحة بيوت أهل أفريقية لجند الشام وقد أثار هذا حفيظة أهل أفريقية .

حرص كلثوم بن عياض على عدم دخول القيروان تفادياً للصدام ونزل في منطقة سبية على بعد مسيرة يوم عن القيروان ، غير أن ما قاله بلج بن بشر قد بلغ القائد حبيب بن أبي عبده الذي كان معسراً عند وادي شلف فأرسل إلى كلثوم بن

عياض رسالة يسفة فيها صنيع ابن أخيه بلج ويحذره من التمادي وإلا حول السيف نحوهم بدلاً من الخوارج، فبعث كلثوم إليه اعتذاراً ويطلب منه أن يتظره عند وادي شلف، ويدرك ابن عذاري أنه لما تم اللقاء بينهما تعرض بلج بن بشر لحبيب بن أبي عبده وصاح الناس السلاح السلاح وانضم أهل مصر إلى جيش أفريقيا ثم سعى الناس للصلح بينهما^(٥٦).

كما أن من عوامل فشل هذه المعركة الخطة العسكرية التي وضعها كلثوم بن عياض بمشورة ابن أخيه بلج^(٥٧) ولم يأبه لنصيحة جند أفريقيا الذين كانوا على دراية بالخوارج وطرقهم في القتال، بل إن الخطة التي وضعها كلثوم لنفسه كانت قوية لاعتمادها على الخيالة والبربر يفتقرن إلى هذه القوة فهذه نقطة ضعف كان من الممكن كسب المعركة من خلالها.

خرجت قوات كلثوم بن عياض تقدمها فرقتين من الخيالة أو لا هما خيالة أهل الشام وعليها بلج بن بشر وعدها عشرة آلاف فارس، وثانية خيالة أفريقيا وعليها هارون القرني.

أما أعداد الخوارج فهم في عدد لا يحصى وهم في القتال لا تضاهى فقد أقبلوا عراة ليس عليهم إلا السراويل وحلقوا رؤوسهم اقتداء بخوارج المشرق، وكانوا يرفعون أصواتهم طالبين التحكيم^(٥٨)، وقد داخل الرعب كلثوم بن عياض فطلب المشورة من مستشاريه وكاد يقف موقفاً دفاعياً باتخاذ خندق وإخراج الكتائب تقاتل البربر ثم تعود إلى مواقعها ولكنه نزل على مشورة بلج الذي لم يحسب الأمر بدقة اغزاراً بما عنده من السلاح والخيالة والصغرى ليس لها ذلك فأكثرهم عزل.

خرج بلج بن بشر صباحاً لمقابلة الخوارج فاستقبلوه بالصياح والحجارة فنفرت خيل بلج وخافت واضطرب الجيش وزحفت جموع البربر وخالفوا قوات كلثوم، وبادر بلج باختراق صفوف الخوارج ونجح في ذلك غير أن البربر حالوا بينه وبين الرجوع لعسكره^(٥٩).

في حين تمكن قائد الخوارج خالد بن حميد الزناتي من الهجوم على قوات كلثوم بضراوة فاستشهد حبيب بن أبي عبده ومغيث الرومي وهارون القرني وسليمان بن أبي المهاجر وثبت كلثوم إلى أن نالته سيف الخوارج وهو يردد قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ أَشَرَّى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ ﴾^(٦٠) وكان ذلك عند بقدورة سنة ١٢٣هـ .

أما بلج بن بشر ومعه ثعلبة بن سلمة وعبد الرحمن بن حبيب فقد اضطره الخوارج إلى التوغل في بلادهم ولجأ إلى مدينة سبتة وتحصن بها وقد أرسل إليه الخوارج خمسة جيوش متالية للنيل منه إلا أنه تمكن من هزيمتهم جميعاً^(٦١) وضيق البرير الخوارج على بلج ومن معه وهو في سبتة ومنعوا عنهم المؤونة بل خربوا كل المزارع التي حول المنطقة والتي من الممكن أن يقتات منها بلج ومن معه فزاد الوضع سوءاً وكادوا يهلكوا حتى أكلوا الدواب والجلود^(٦٢) .

أرسل بلج بن بشر إلى والي الأندلس عبد الملك بن قطن يطلب منه السماح له بدخول الأندلس فرفض طلبه لكن ما لبثت الأمور أن تغيرت في الأندلس حيث ثار البربر هناك وفشل عبد الملك في التصدي لها فسمح لقوات بلج بأن تدخل الأندلس وتعينه في القضاء عليهم ثم تغادر البلاد خلال عام فوافق بشر على ذلك^(٦٣) .

أوضاع المغرب الأدنى زمن الصراع :

لا جدال أن قوة البرير الخوارج كانت محفزاً وباعثاً على استمرار الثورة وتوسيع رقعتها ويبدو أن الخوارج من الصفرية قد نظموا صفوفهم وحددوا وجهتهم في بينما الثورة على أشدتها في المغرب الأقصى تخرج طائفة من الصفرية في منطقة قابس بقيادة عكاشة الفزاري الذي بعث أخاً له نحو صبره وجمع القبائل الزناتية ، فقام والي طرابلس صفوان بن أبي مالك وزحف نحو صبره لتخليصها من قوات الخوارج وقد نجح فعلاً حيث هرب الصفرية منها تاركين موتاهم ولحقوا بعكاشة في قابس^(٦٤) .

أما خوارج قابس فقد تحصنا فيها وكان مسلمة بن سواده القرشي النائب الثاني لكلثوم ابن عياض مناهض لهم والقضاء عليهم فخرج إليهم بقواته غير أنه هزم أمام قوات الفزارى وعاد إلى القيروان وقد فقد الكثير من جنوده^(٦٥).

تشير الروايات إلى أن والي طرابلس صفوان بن أبي مالك اتفق مع نواب الوالي كلثوم بن عياض لحصار عكاشة في قابس والقضاء عليه فأحس عكاشة بالخطر فخرج من قابس وتحصن عند منطقة تبعد اثنا عشر ميلاً عن قابس فيخرج إليه نائب كلثوم على الصلاة عبد الرحمن بن عقبة الغفارى ويلتقي مع عكاشة الفزارى في موضع بين قابس والقيروان يعرف (الفحص الأبيض) فهزم الله قوات الخوارج في صفر سنة ١٢٤هـ وزحف عكاشة إلى طبئه عاصمة الزاب^(٦٦).

من هنا يمكن أن ندرك بجلاء سعة انتشار النفوذ والخطر الخارجي في منطقة الشمال الأفريقي من أدناه إلى أقصاه وسيترتب عليه انحسار المذهب السنّي وذلك ما أقلق الخلافة الأموية فبادر الخليفة هشام بن عبد الملك بتعيين والي جديد يكون على عاتقه دحر الخوارج والمحافظة على المذهب السنّي في تلك البقعة من العالم الإسلامي بعدما خرج المغاربة الأقصى والأوسط عن سلطان الخلافة.

انتصار المذهب السنّي (غزوه الأصنام والقرن) :

لابد من الإشارة إلى صلابة الخليفة هشام بن عبد الملك الذي رغم الهزيمة الساحقة لقواته في معركتي الأشراف وبقدوره وسيطرت الخوارج على ثلثي منطقة الشمال الأفريقي إلا أن استشعاره بالخطب العظيم وتفاقم قوة الخوارج الذي يؤدي إلى ضياع عاصمة المسلمين الأولى (القيروان) والذي سيجعل المنطقة تحت هيمنة المذهب الخارجي ما جعله يحلف "لئن بقي ليخرجن إليهم مائة ألف، ثم ليخرجن حتى إذا لم يبق غير نفسه وبنيه أقرع بينه وبينهم ثم أخرج نفسه بعد أن وقعت عليه القرعة"^(٦٧).

ولعل أول بوادر النصر الإصرار ، ثم صدق النية عند الخليفة هشام فإن كان هذا حال الخليفة فالرعاية حتماً على شاكلته والناس على دين ملوكها ، عين الخليفة هشام بن عبد الملك لولاية أفريقيا حنظلة بن صفوان الكلبي الذي كان وإلى مصر ويبدو أنه نجح في إدارة ولاية مصر فأمره بالسير على عجل إلى أفريقيا وتنظيم أمورها والتصدي للخوارج فوصلها في أواخر ربيع الثاني سنة ١٢٤هـ مع ثلاثين ألف رجل ثم سير إليه الخليفة أيضاً عشرين ألف رجل^(٦٨).

يبدو أن حنظلة حين وصل القيروان أدرك تفاقم الخطر الخارجي على المنطقة وتشعبه فيها مما يشكل خطراً على التوأجد السنوي لهذا وضع إستراتيجية لتفكيك الحزب الخارجي فبادر بإرسال رسالة إلى خوارج طنجة يحثهم فيها على الطاعة ويدركهم بالأخرة ذكرها المالكي^(٦٩) وفيها :

”بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ“

من حنظلة بن صفوان إلى جميع أهالي طنجة .

أما بعد ، فإن أهل العلم بالله وبكتابه وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أنه يرجع جميع ما أنزل الله عز وجل إلى عشر آيات أمره ، وزاجره ، ومبشره ، ومنذره ، ومخبره ، ومحكمة ، ومشتبهه ، وحلال ، وحرام ، وأمثال ، فأمره بالمعروف ، وزاجره عن المنكر ، ومبشرة بالجنة ، ومنذرة بالنار ، ومخبرة بخبر الأولين والآخرين ، ومحكمة بعمل لها ، ومتشبهة يؤمن بها ، وحلال أمر أن يؤتى ، وحرام أمر أن يجتنب ، وأمثال واعظه ، فمن يطع الأمارة وتزجره الزاجرة فقد استبشر بالمبشرة وأنذرته المنذرة ، ومن يحلل الحلال ويحرم الحرام ويرد العلم فيما اختلف فيه الناس إلى الله ، مع طاعة واضحة ونية صالحة فقد فلح وأنجح وحياة الدنيا والأخرة ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ”.

وريثما يجهز جيشه للقاء حاسم أراد كسر شوكة عكاشة الفزاروي حيث أرسل إليه عبد الرحمن ابن عقبة الغفاري في رمضان سنة ١٢٤هـ وهزمه وأخرججه

من طبعة غير أَن الزعيم الصفري الآخر وهو عبد الواحد بن يزيد الهاوري انضم إلى عكاشة فانهزمت قوات عبد الرحمن أمام هذا التجمع واستشهد عبد الرحمن في ذي القعدة من تلك السنة ^(٧٠).

ولا يمكن إغفال نقطة هامة في الصراع الدائر بين السنة والخوارج وهو أن الصفرية وإن كان عدوها أهل السنة والسلطة الحاكمة إلا أن بين فرقها الواحدة تنازع وتنافس كبير على الإمامة وهذا ما نلحظه بوضوح بين الزعيمين الصفررين عكاشة الفزارى وعبد الواحد الهاوري فكل منهما يحرص على الوصول إلى القиروان لتكون له الزعامة.

أدركت الصفرية حرص السنة على القиروان فإلى أن تأتي الفرصة للانقضاض عليها قام عبد الواحد الهاوري بمحاولة الاستيلاء على تونس فأرسل إليه حنظلة بن صفوان جيشاً بقيادة ثابت بن خيثم ليقطع عليه الطريق غير أن عبد الواحد هزم ذلك الجيش وقتل قائده وذلك في صفر سنة ١٢٥هـ فأدرك حنظلة بن صفوان صعوبة حماية تونس فترك لواليها المستنير بن الحجاج حرية الدفاع عنها أو الجلاء ويبدو أن وللي تونس أدرك قوة جيش عبد الواحد وهمجيته في القتال واستهانتهم بالأعراض والأرواح ففضل الجلاء فخرج إلى القиروان مع عائلات الجند ^(٧١).

دخل عبد الواحد تونس وبابيه أصحابه بالإمامية غير أن تلك البيعة أزعجت خالد بن حميد الزناتي إمام الصفرية في طنجة الذي أرسل إليه أحد قواده وهو عبد الأعلى المعروف بزرزور مولى موسى بن نصیر وأمره أن يحل لواء عبد الواحد وهذا ما يفسر لنا صراع الطائفنة الواحدة وأن كل قائد يعمل لحسابه الخاص ^(٧٢).

ليس ثمة شك أن قوات الخوارج كانت قاب قوسين من القиروان لكن حنظلة بن صفوان أدرك أهمية القиروان ودورها الذي تضطلع به لحماية المذهب السنّي ، لذا فإن دفاعه عنها سيكون بوضع كل الإمكانيات البشرية والمادية .

لقد أضحي الناس في فزع وهلع من الخطر الص佛ري لأنه أسرف في القتل والتدمير وهتك الحرمات وبلغ ذلك الحقوق قلوب الصناديد من الرجال حتى أن حنظلة بن صفوان كان يأمر الرجل أن يأتيه بخبر القوم فيأبى إلا بعد أن يدفع له خمسين ديناراً^(٧٣).

بادر حنظلة برفع الروح المعنوية عند العامة وكلف العلماء الأفاضل بدورهم المناط بهم من زرع الثقة بالله تعالى وحسن التوكل عليه والأخذ بكافة الأسباب وبيان وهن الصفرية وضعفها لأنحراف معتقدها وبعده عن المنهج القويم ، وحرض الناس على الشهادة ورغم في جهادهم ، ثم فتح الخزائن وأخرج السلاح ووزع الأموال فنادى في الناس فأول من دخل عليه رجل من يحصب فقال له ما اسمك ؟ فقال : " نصر بن ينعم " قال : " فتبسم حنظلة كالمكذب له ، ثم قال له : " بالله أصدق " ، قال : " والله مالي اسم غير ما ذكرت لك " فدعا عريفه فقال : " ما اسم هذا ؟ " ، قال " نصر بن ينعم " فكبير حنظلة عند ذلك وتفاعل به - ويقال " نصر بن فتح "^(٧٤) . وأمر حنظلة بدرع فصبت عليه وأمر لكل قادم عليه بدرع وخمسين ديناراً فلم يزل يفعل كذلك حتى كثر على الناس فرد العطاء إلى أربعين ، ثم إلى ثلاثين وما كان يأخذ إلا شاباً قوياً ، وقد أمضى حنظلة ليله كان على ضوء الشموع يعد للمعركة الحاسمة فلما أسفر الصبح وكان قد عبه خمسة آلاف دارع وخمسة آلاف نابل ، وجعل على الطلائع شعيب بن عثمان ، وعلى الساقية عمرو بن حاتم وعلى الميمينة عبد الرحمن بن مالك الشيباني ، ووقف أمام الجيش وهو في أتم استعداده مادياً ومعنوياً لضرب الصفرية ثم جاءت ثلاثة من القراء وأهل العلم والدين والفقه أرسلتهم حنظلة ليقوا من عزائم الجندي فحرضوا على الجهاد وذكروا فضلاته وذكروا مذهب الخوارج وعظم ما يريدون من السبي وهتك الحريم وسفك الدماء^(٧٥) .

وخرجت نساء القيروان يرغبن أزواجاهم في القتال والصمود وأدركن أن المعركة نصرة للمذهب الحق مذهب أهل السنة والجماعة ودحراً للصفرية المارقين

، بل أن من نساء القيروان من خرجن مع الجيش " عقدن الأولوية ، وأخذن معهن السلاح ، وعزمن على القتال ، واستبسلن للموت مع الرجال ، وحلفن لأزواجهن ، لئن انهزم أحد منكم إلينا مولياً من عدوه لقتلته " ^(٧٦) .

معركة الأصنام سنة ١٢٤ هـ :

موضع يبعد عن القيروان ثلاثة أميال كان عبد الواحد الهواري قد عسكر فيه ليعد قواته للهجوم على القيروان وكان حنظلة قد حفر خندقاً حول العاصمة القيروان ليحول بينها وبين السقوط في يد عدوه ، وخرج الجيش من القيروان ليلاً فصبح الصفرية في منطقة الأصنام وكانت مbagحة كبيرة لم توقعها جموع الخوارج فتبارز الفريقيان فكانت الغلبة لجيش حنظلة ثم تلاحم الجيشان فصار لا يسمع إلا صوت الحديد على الحديد واستطاعت الصفرية أن تكسر ميسرة حنظلة لكن تمكنت قوة أهل القيروان من تحطيم ميسرة وقلب الخوارج وأتبعوا ذلك بضرب ميمنته فكانت الهزيمة النكراء لقوات الصفرية وتکللت بمقتل قائدهم عبد الواحد وتتابع الجيش حنظلة الصفرية حتى جلواء ^(٧٧) . وكان عدد القتلى لا يحصي ذكر الرقيق ^(٧٨) : " وأراد حنظلة أن يحصي من قتل بينهم ، وأمر بعدهم بما قدر على ذلك ، فأمر بقطع القصب وأمر أن نطرح قصبة على كل قتيل ثم جمعت القصب وعدت فكانت القتلى مائة ألف وثمانين ألفاً " .

فرح أهل القيروان بالنصر العظيم فخرج النساء والصبيان معهم الماء والسوقي لإطعام الجنود وسقيهم .

القرن سنة ١٢٤ هـ :

على بعد ستة أميال من القيروان عسكر عكاشه الفزاروي القائد الصفرى الآخر الذى سار إليه حنظلة بن صفوان على عجل حتى لا تصل إليه أخبار عبد الواحد الهواري ومقتله فيزيد ذلك في ضراوة القتال وشدة ، وفعلاً وصلها ولم يكن يعلم شيئاً من معركة الأصنام .

كانت الروح المعنوية عند أهل السنة عالية جداً بعد الأصنام فكانت حافزاً لنجاهم في لقاء آخر مع الصفرية ، لكن لن يخلو الأمر من شدة وھلع بل أن القتال الذي بدأ بين الطرفين كان شديداً " وكانت النساء قد ركبن ظهور البيوت بالقيروان فإذا رأين الغبار سائراً إلى الجبل كبرن وسجدن ، وإذا رأينه مقبلاً صرخن واستغثن " ^(٧٩) . وبعد صولات وجولات حلت الهزيمة بالصفرية وفر عكاشه الفزاري من أرض المعركة فترصد به جند حنظلة فقدموا به أسيراً إلى حنظلة فقتله وخر ساجداً لله شاكراً على ما تفضل الله به تعالى من دحر هذا الخطر العظيم .

أن الانتصار في الأصنام والقرن لم يكن فرحة وسروراً لأهل القيروان فحسب بل في العالم الإسلامي كله ، ولم يكن أهل أفريقيا وحدهم يتبعوا خطوات مواجهة الخطر الصفرى بل عامة الناس في الدولة الإسلامية والعلماء والفقهاء بخاصة كانت متابعة أخبار الحال في القيروان لما يدركه هؤلاء من خطر تمادي النفوذ الخارجي ولذا لا عجب إذا سمعت الليث بن سعد فيه مصدر يقول : " ما من غزوة كنت أحب أن أشهدها ، بعد غزوة بدر ، أحب إلى من غزوة القرن والأصنام " ^(٨٠) .

" وقد أنقذت هاتان الواقعتان مصير السنة في أفريقيا والمغرب فثبتت أقدامهما في أفريقيا والزاب ، وانحاشت المبادئ الخارجية من إباضية وصفورية مع أصحابها " ^(٨١) .

وقد وصلت أخبار النصر إلى الخليفة هشام بن عبد الملك وهو على فراش الموت سنة ١٢٥ هـ وقد بر بقصمه وأدب خصوم دولته ^(٨٢) .

لعل من الجدير ذكره أن صورة الشمال الأفريقي بعد الأصنام والقرن قد بدت واضحة فقد انحسر سلطان الخلافة الأموية عن المغاربة الأوسط والأقصى ، ولم يعد ضمن ممتلكاتها في المنطقة إلا المغرب الأدنى وإن بدا ذلك سيئاً إلا أنه لا شك أن بقاء القاعدة القيروان في حوزة الخلافة الأموية قد كان له الدور الكبير في المحافظة على المذهب السنوي في تلك البقعة بعيدة عن مركز الخلافة .

وأشير هنا إلى الدور العظيم الذي قام به الوالي الفاضل حنظلة بن صفوان الكلبي^(٨٣) فقد كان سديداً للرأي حين رأى عدم تشتيت الجهود في محاربة الصفرية في كافة المغرب بل حصر قوته جميعها للدفاع عن القิروان ، كما أنه لم يتبع الصفرية بعد انتصاره في الأصنام والقرن في مناطق بعيدة عن القิروان حتى لا يؤدي ذلك إلى نتائج غير محمودة ، وهذا فعلاً من الحكم البالغة في تلك اللحظات العصبية إذ لا يمكن إغفال قضية هامة وهي أن الخوارج من إباضية وصفورية كان وجودهم في المغاربة الأوسط والأقصى بكثرة وبقوة بل منذ عام ١٢٢ هـ أي بعد نجاح ثورة ميسرة انفصل المغرب الأقصى تماماً من الخلافة الأموية وأصبح سكانه يعتمدون على أنفسهم في إدارة بلادهم^(٨٤) وكانوا من الصفرية الغلاة .

أما الإباضية فكانت حركتهم أقل عنفاً وقد جعلت من طرابلس - أولى محطات المغرب - قاعدة لمذهبها وكانوا يرقبون حركات الصفرية بازدراء للفحش الذي أحدثوه بل ما خلت العلاقة بينهما من تصادم كما حدث في سنة ١٤٠ هـ حين دب النزاع بين أبناء البيت الفهري الأمر الذي حفز ورجمومة الصفرية على استغلال الفرص ودخلت القิروان وعاشت فيها الفساد فقام إباضية طرابلس وولوا على أنفسهم أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري وهو من "حملة العلم" وله دور في نشر المذهب الإباضي في المغرب فجمع أبو الخطاب قبائل هوارة وزناته وسار بهم إلى القิروان واستطاع دخولها بعد قتال مرير مع الصفرية ثم انتهت المعركة لصالح الإباضية الذين دخلوا القิروان سنة ١٤١ هـ ونظم أبو الخطاب أمور القิروان وعين عليها نائباً من قبله هو أحد طلبة العلم أيضاً واسمه عبد الرحمن بن رستم^(٨٥) ، وظلت في أيدي الإباضية حتى سنة ١٤٤ هـ حين عين الخليفة أبو جعفر المنصور محمد بن الأشعث الخزاعي والياً على أفريقيا فطهرها من الإباضية .

لكن على الرغم من الشدة التي استعملها الخلفاء العباسيون تجاه حركات الخوارج من إباضية وصفورية إلا أن الخوارج تمكناً من إنشاء دويلات لهم هناك

فقد أنشأت الصفرية دولة في سجلomasة المدارية سنة ١٤٠ هـ في الجنوب الغربي وأنشأ الإباضية دولة بني رستم في تاهرت سنة ١٦٠ هـ في المغرب الأوسط .

وتشير إلى أنه رغم قيام دولة خارجية في تلك المنطقة إلا أن المذهب السنوي يعود بقوه وتتجدد معالم الصورة بجلاء في التمسك بمذهب الإمام مالك رضي الله عنه ما ظل أثره حتى اليوم بدون منازع .

الخاتمة:

إن الاستقرار الأمني والسياسي الذي نعمت به أفريقيا في ظل الفتح الإسلامي قد أدى إلى نتاج حضاري عظيم غدت بموجبه القيروان مركزاً علمياً وثقافياً وأيضاً ينطلق منها نور الإسلام للقارتين الأفريقية والأوروبية على حد سواء ، غير أن حركات الخوارج من الصفرية والإباضية قد أدت إلى صعوبات جمة في سبيل استمرارية الاستقرار في كل منطقة الشمال الأفريقي من أدناها إلى أقصاها وكان لتلك الثورات المتالية الأثر السلبي على الوضعية الأمنية والسياسية والحضارية الأمر الذي أسف عن صراع مذهبي بين السنة والخوارج نتج عنه في نهاية الأمر اقطاع المغاربة الأوسط والأقصى عن سلطان الخلافة السنوية ولا ننكر جهود الخلفاء الأمويين وولاتهم في محاولة التصدي لهذا الطوفان ويزد دور حنظلة بن صفوان الكلبي وطائفة العلماء الأجلاء ورجال القيروان ونساءهم في محاربة الخوارج ودحرهم عن القيروان وبذلك حموا عاصمتهم وأفريقيا كلها من التسلط الخارجي واستمراريتها حصناً منيعاً للمذهب السنوي .

نتائج البحث :

يمكن ذكر نتائج البحث في النقاط التالية :

- ١ انتقال الخوارج من المشرق الإسلامي إلى المغرب الإسلامي لبعده عن مركز الخلافة في دمشق .
- ٢ سرعة تقبل البربر للمبادئ الخارجية لبساطة البربر وعدم تعمقهم في فهم الإسلام .
- ٣ مبدأ المساواة الذي نادى به الخوارج حفزاً الكثير للدخول فيه .
- ٤ لم يكن الظلم الذي وقع على البربر من بعض الولاة سبباً لاعتناق المذهب الخارجي .
- ٥ بذلك الدولة الأموية جهوداً جباراً للحد من نفوذ الخوارج والقضاء عليهم .
- ٦ الهزيمة التي مُني بها جيش الخلافة في الأشراف وبقدوره أدت إلى استفحال الخطير الخارجي .
- ٧ رجاحة عقل وحكمة الوالي حنظلة بن صفوان الكلبي أدت إلى المحافظة على المذهب السنّي في القيروان العاصمة الأولى للمسلمين هناك كما أدت إلى ثبات المذهب السنّي إلى يومنا هذا أثر معركتي القرن والأصنام التي هزم فيها الخوارج .

الهوامش والتعليقات

- (١) محمد أبو زهرة : تاريخ المذاهب الإسلامية ، دار الفكر العربي ، مصر ، ١٩٨٩م ، ج ١ ، ص ٦٠-٦١ .
- (٢) د. غالب بن علي عواجي : الخوارج ، المكتبة العصرية الذهبية ، جدة ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٣هـ ، ص ٩٥ .
- (٣) أحمد أمين : فجر الإسلام ، ط ١١ ، ١٩٧٥م ، مكتبة النهضة العربية ، ص ٢٥٩ .
- (٤) محمد أبو زهرة : تاريخ المذاهب الإسلامية ، ص ٦٤ .
- (٥) ياقوت : معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٧م ، ج ٥ ، ص ٢٧٨ .
- (٦) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق : أكرم العمري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٧٩م ، ص ٢٠٤ .
- (٧) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق : محمد أبو القضل إبراهيم ، ط ٢ ، دار المعارف ، القاهرة ، ج ٥ ، ص ١٦٦ .
- (٨) الطبرى : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١٨٨ .
- (٩) الطبرى : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٤٧١ .
- (١٠) الطبرى : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٤٧١ ؛ خليفة بن خياط : المصدر السابق ، ص ٢٥٣ .
- (١١) أحمد أمين : نفس المرجع ، ج ١ ، ص ٣٠٨ .
- (١٢) أرسل الخليفة عشرة من العلماء الأفضل هم : عبد الرحمن بن نافع ، سعد بن مسعود التميمي ، أبو عبد الله الحلبى ، إسماعيل بن عبد الأنصاري ، موهب بن حي

المعافري ، حيان بن جبلة القرشي ، أبو ثمامـة بـكر بن سـواـدـهـ الجـذـامـيـ ، جـعـثـلـ بنـ عـمـيرـ ، وإـسـمـاعـيلـ بنـ عـبـدـ اللهـ بنـ أـبـيـ الـمـهـاجـرـ دـيـنـارـ ، طـلـحـةـ بنـ جـابـانـ الـفـارـسيـ .

الـمـالـكـيـ : رـيـاضـ النـفـوسـ ، الطـبـعـةـ الـأـولـىـ ، مـكـتـبـةـ الـنـهـضـةـ الـمـصـرـيـةـ ، ١٩٥١ـ مـ ، جـ ١ـ ، صـ ٦٦ـ ١٧٥ـ ؛ الدـبـاغـ : مـعـالـمـ الـإـيمـانـ ، تـحـقـيقـ إـبـراهـيمـ شـيـوعـ ، مـكـتـبـةـ الـخـانـجـيـ ، ١٩٦٨ـ مـ ، جـ ١ـ ، صـ ١٣٥ـ ١٥٤ـ .

(١٣) الأفارقة : هـمـ مـنـ أـجـنـاسـ مـتـعـدـدـةـ دـخـلـوـاـ أـفـرـيقـيـةـ وـعاـشـوـاـ فـيـهـاـ لـكـنـهـمـ اـحـتـفـظـوـاـ بـلـغـتـهـمـ وـديـانـتـهـمـ .

دـ.ـ سـعـدـ زـغـلـوـلـ عـبـدـ الـحـمـيدـ : تـارـيـخـ الـمـغـرـبـ الـعـرـبـيـ ، منـشـأـةـ الـمـعـارـفـ ، الإـسـكـنـدـرـيـةـ ، ١٩٧٨ـ مـ ، جـ ١ـ ، صـ ١٠٦ـ .

(١٤) دـ.ـ سـعـدـ زـغـلـوـلـ عـبـدـ الـحـمـيدـ : نـفـسـ الـمـرـجـعـ ، جـ ١ـ ، صـ ١٠٦ـ .

(١٥) مؤـلـفـ مـجهـولـ : الـاستـبـصـارـ فـيـ عـجـائـبـ الـأـمـصـارـ ، نـشـرـ وـتـعلـيقـ دـ.ـ سـعـدـ زـغـلـوـلـ عـبـدـ الـحـمـيدـ ، الإـسـكـنـدـرـيـةـ ، ١٩٥٨ـ مـ ، صـ ١٥٥ـ .

(١٦) دـ.ـ مـحـمـدـ عـيـسـيـ الـجـزـيرـيـ : الـدـوـلـةـ الرـسـمـيـةـ بـالـمـغـرـبـ الـإـسـلـامـيـ ، الطـبـعـةـ الثـالـثـةـ ، دـارـ الـقـلـمـ ، الـكـوـيـتـ ، ١٤٠٨ـ هـ ، صـ ٤٣ـ .

(١٧) الـاسـتـقـصـاءـ لـأـخـبـارـ دـوـلـ الـمـغـرـبـ الـأـقـصـيـ ، الدـارـ الـبـيـضـاءـ ، ١٩٥٤ـ مـ ، جـ ١ـ ، صـ ٤٥ـ .

(١٨) حـسـنـ حـسـنـيـ عـبـدـ الـوـهـابـ : وـرـقـاتـ عـنـ الـحـضـارـةـ الـعـرـبـيـةـ بـأـفـرـيقـيـةـ ، مـكـتـبـةـ الـمنـارـ ، تـونـسـ ، ١٩٦٥ـ مـ ، جـ ١ـ ، صـ ٢٧٠ـ .

(١٩) دـ.ـ مـحـمـودـ إـسـمـاعـيلـ عـبـدـ الرـزـاقـ : الـخـوارـجـ فـيـ بـلـادـ الـمـغـرـبـ ، صـ ٤٦ـ .

(٢٠) دـ.ـ مـحـمـدـ أـبـوـ زـهـرـةـ : الـمـرـجـعـ السـابـقـ ، صـ ٧٨ـ ٧٦ـ .

(٢١) دـ.ـ مـحـمـودـ إـسـمـاعـيلـ عـبـدـ الرـزـاقـ : نـفـسـ الـمـرـجـعـ ، صـ ٤٧ـ .

- (٢٢) د. سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٨٦ .
- (٢٣) د. محمود إسماعيل عبد الرزاق : المرجع السابق ، ص ٤٧ .
- (٢٤) الدولة الرسمية بال المغرب الإسلامي ، ص ٥٥ .
- (٢٥) عبد العزيز بن عبد الله : تاريخ المغرب ، مكتبة السلام ، الدار البيضاء ، ص ٨٣ .
- (٢٦) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، طبعة دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٥٨ م ، ج ٦ ، ص ١١٨ .
- (٢٧) ابن خلدون : نفس المصدر والجزء ، ص ١٠٥ .
- (٢٨) ابن خلدون : نفس المصدر ، ج ٧ ، ص ١١ .
- (٢٩) د. محمود إسماعيل عبد الرزاق ، المرجع السابق ، ص ٥٦-٥٧ .
- (٣٠) ابن عذاري المراكشي : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ج ١ ، تحقيق ليفي بروفنسال ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٨٣ م ، ص ٤٨ .
- (٣١) ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٥٢ .
- (٣٢) د. حسين مؤنس : تاريخ المغرب وحضارته ، ط ١ ، العصر الحديث للنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٩٢ م ، المجلد الأول ، ج ١ ، ص ١٣٦-١٣٧ .
- (٣٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، بولاق ، القاهرة ، ١٣٥٧ هـ ، ج ٤ ، ص ١٨٢ .
- (٣٤) الرقيق القيرواني : تاريخ أفريقيا والمغرب ، تحقيق المنجي الكعبي ، رفيق السقطبي ، تونس ، ١٩٦٨ م ، ص ١٠٠ .
- (٣٥) سير أعلام النبلاء : مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ج ٥ ، ص ٣٥٢ .

- (٣٦) د. خليل السامرائي ، د. عبد الواحد طه ، د. ناطق مطلوب : تاريخ المغرب العربي ، مديرية دار الكتب ، العراق ، ١٩٨٨ م ، ص ١٠٦ .
- (٣٧) المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس ، ط١ ، تصحيح : محمد شمام ، المكتبة العتيقة ، ١٣٨٧ هـ ، ص ٣٨ .
- (٣٨) د. حسين مؤنس : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٣٧ .
- (٣٩) د. أحمد بدر : دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها ، الطبعة الثانية ، دمشق ، ١٩٦٩ م ، ص ٤٥ .
- (٤٠) الطبرى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٥٥ .
- (٤١) الأبرش بن الوليد الكلبى ، وكان رئيس وزراء هشام والإنسان الأثير لديه . محمد علي دبوz : تاريخ المغرب الكبير ، ط١ ، عيسى البابى الحلبي وشركاه ، ١٣٨٢ هـ ، ج ٢ ، ص ٢٥١ .
- (٤٢) الطبرى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٧ .
- (٤٣) انظر صحيح مسلم بشرح النووي ، ط٣ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٨٩ هـ ، المجلد السادس ، ج ١٢ ، ص ٢٤٠-٢٤١ .
- (٤٤) ابن كثير : البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ج ٩ ، ص ٣٥٣ .
- (٤٥) د. محمد عيسى الحريري : نفس المرجع ، ص ٥٦ .
- (٤٦) د. محمد عيسى الحريري : نفس المرجع ، ص ٥٧ .
- (٤٧) د. حسين مؤنس : نفس المرجع والجزء ، ص ١٥١ .
- (٤٨) الرقيق القيرواني : نفس المصدر ، ص ١١٠ .

- (٤٩) د. سعد زغلول عبد الحميد : نفس المرجع والجزء ، ص ٢٩٢ .
- (٥٠) ابن عذاري : المصدر السابق والجزء ، ص ٥٥ .
- (٥١) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، مكتبة المتنبي ، بغداد ، ١٨٦٧ م ، ص ٣٠-٣١ .
- (٥٢) د. سعد زغلول عبد الحميد : نفس المرجع والجزء ، ص ٢٩٣ .
- (٥٣) ابن عذاري : نفس المصدر والجزء ، ج ١ ، ص ٥٦ .
- (٥٤) د. سعد زغلول عبد الحميد : نفس المرجع والجزء ، ص ٢٩٤ .
- (٥٥) ابن عذاري : نفس المصدر والجزء ، ص ٥٦ ؛ محمد علي دبوز : تاريخ المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٢٦٦ .
- (٥٦) ابن عذاري : نفس المصدر والجزء ، ص ٥٧ .
- (٥٧) د. سعد زغلول عبد الحميد : نفس المرجع والجزء ، ص ٢٩٥ .
- (٥٨) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٣٢ .
- (٥٩) مؤلف مجهول ، أخبار مجموعة ، ص ٣٤ .
- (٦٠) سورة التوبة ، آية : ١١١ .
- (٦١) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٣٤ .
- (٦٢) ابن عذاري : نفس المصدر والجزء ، ص ٥٨ .
- (٦٣) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٣٨ .
- (٦٤) ابن عبد الحكم : نفس المصدر ، ص ٢١٩ .
- (٦٥) ابن عبد الحكم : نفس المصدر ، ص ٢١٩ .

- (٦٦) د. سعد زغلول عبد الحميد : نفس المرجع والجزء ، ص ٣٠٢ .
- (٦٧) مؤلف مجهول : نفس المصدر ، ص ٣٦ .
- (٦٨) مؤلف مجهول : نفس المصدر ، ص ٣٦ .
- (٦٩) رياض النفوس ، ج ١ ، ص ٦٧ .
- (٧٠) ابن عبد الحكم : نفس المصدر ، ص ٢٢٢ .
- (٧١) د. سعد زغلول عبد الحميد : نفس المرجع والجزء ، ص ٣٠٤ .
- (٧٢) د. سعد زغلول عبد الحميد : نفس المرجع والجزء ، ص ٣٠٤ .
- (٧٣) الرقيق : نفس المصدر ، ص ١١٨ .
- (٧٤) الرقيق : نفس المصدر ، ص ١١٩ .
- (٧٥) الرقيق : نفس المصدر ، ص ١٢٠ .
- (٧٦) الرقيق : نفس المصدر والصفحة .
- (٧٧) الرقيق : نفس المصدر ، ص ١٢١ .
- (٧٨) الرقيق : نفس المصدر ، ص ١٢٢ .
- (٧٩) الرقيق القيرواني : نفس المصدر ، ص ١١٧ .
- (٨٠) ابن عذاري : نفس المصدر والجزء ، ص ٥٩/١ .
- (٨١) د. حسين مؤنس : نفس المرجع والمجلد ، ص ١٥٥ .
- (٨٢) د. سعد زغلول : نفس المرجع والجزء ، ص ٣١٠ .
- (٨٣) انظر : د. حسين مؤنس : نفس المرجع والجزء ، ص ١٦٦ .

- (٨٤) انظر : د. حسين مؤنس : نفس المرجع والجزء ، ص ١٦٣ .
- (٨٥) د. سعد زغلول عبد الحميد : نفس المرجع والجزء ، ص ٣٤٢ .

المصادر والمراجع

المصادر :

- ابن أبي دينار : أبو عبد الله محمد بن أبي دينار : المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس ، ط ٢ ، المكتبة العتيقة ، ١٩٦٧ م .
- ابن الأثير : أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠ هـ) : الكامل في التاريخ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٥ م .
- ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ) : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، الجزء الرابع والسادس ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٥٨ م .
- ابن عذاري المراكشي : أبو العباس أحمد (ت ٧١٢ هـ) : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، الجزء الأول ، تحقيق : ليفي بروفنسال ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٨٣ م .
- ابن كثير : أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي (ت ٧٧٤ هـ) : البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، بيروت .
- البلادي الناصري : أحمد بن خالد الناصري : الاستقصار لأنباء دول المغرب الأقصى ، الجزء الأول ، مصر ، ١٣١٢ هـ .
- خليفة بن خياط : أبو عمرو (ت ٤٠ هـ) : تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق : أكرم العمري ، ط ١ ، النجف ، ١٩٦٧ م .

- الدباغ : أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت ٦٩٦ هـ) : معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، الجزء الأول ، تحقيق : إبراهيم شيوع ، مكتبة الخانجي ، ١٩٦٨ م .
- الذهبي : أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٧٤٨ هـ) : سير أعلام النبلاء ، ج ٥ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .
- الرقيق القيرواني : أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم (٥٥ هـ) : تاريخ أفريقيا والمغرب ، تحقيق : المنجي الكعبي ، الناشر : رفيق السقطي ، تونس .
- الطبرى : أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٢١٠ هـ) : تاريخ الأمم والملوك ، القاهرة ، ١٩٣٩ م .
- مؤلف مجهول : أخبار مجموعة في فتح الأندلس ، نسخة معادة بالأوفست أعادتها مكتبة المثنى ببغداد عن طبعة في مدينة مجريط ، بمطبعة ابزنيز ، ١٨٦٧ م .
- مؤلف مجهول : كاتب مراكش من القرن السادس الهجري (٢١٢) : الاستبصار في عجائب الأمصار ، نشر وتعليق : د. سعد زغلول عبد الحميد ، مطبعة جامعة الإسكندرية ، ١٩٥٨ م .
- المالكي : أبو عبد الله (ت ٤٣٢ هـ) : رياض النفوس ، نشر : حسين مؤنس ، ط١ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥١ م .
- مسلم : الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١ هـ) : صحيح مسلم بشرح النووي ، ط ٣ ، المجلد السادس ، ج ١٢ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٨٩ هـ .

- ياقوت : شهاب الدين أبو عبد الله الرومي (ت ٦٢٦ هـ) : معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧١ م .

المراجع :

- أحمد أمين : فجر الإسلام ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٥ م .
- حسين حسني عبد الوهاب : ورقات عن الحضارة العربية بأفريقيا التونسية ، مكتبة المنار ، تونس ، ١٩٦٥ م .
- حسين مؤنس : تاريخ المغرب وحضارته ، ط ١ ، العصر الحديث للنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٩٢ م .
- د. أحمد بدر : دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها ، ط ٢ ، دمشق ، ١٩٦٩ م .
- د. خليل السامرائي ، د. عبد الواحد طه ، د. ناطق مطلوب : تاريخ المغرب العربي ، مديرية دار الكتب ، العراق ، ١٩٨٨ م .
- د. سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربي ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ١٩٧٨ م .
- د. غالب بن علي عواجي : الخوارج ، ط ٢ ، المكتبة العصرية الذهبية ، جدة ، ١٤٢٣ هـ .
- د. محمد أبو زهرة : تاريخ المذاهب الإسلامية ، دار الفكر العربي ، مصر ، ١٩٨٩ م .

- د. محمد عيسى الحريري : الدولة الرسمية بالمغرب الإسلامي ، ط ٣ ، دار القلم ، الكويت ، ١٤٠٨ هـ .
- د. محمود إسماعيل عبد الرزاق : الخوارج في بلاد المغرب ، الطبعة الثانية ، دار الثقافة ، ١٤٠٦ هـ ، الدار البيضاء ، المغرب .
- عبد العزيز بن عبد الله : تاريخ المغرب ، مكتبة السلام ، الدار البيضاء .
- محمد علي دبوز : تاريخ المغرب ، ط ١ ، عيسى البابي وشركاه ، ١٩٦٣ م .